

أساسي في نشر الأفكار العصرية، وإشاعة المعلومات الحديثة المتصلة بنهضة الأمة وخلق الشخصية الجديدة التي تتسم بروح التعاطف والتعاون والتقمص الوجداني.

إن التكنولوجيا الحديثة للاتصال جعلت من العالم قرية صغيرة، حيث قربت المسافات واختزلت الوقت واقتصدت في جهد ومال الإنسان. ومن خلال هذه المساهمة نسعى إلى وضع همزة وصل بين الحداثة والتكنولوجيا الجديدة للمعلومات في عصرنا هذا.

ماهية الحداثة:

إن موضوع الحداثة فيه العديد من المشاكل الخلافية التي يصعب حلها، لأن الحداثة خاضعة لمقاربات وزوايا نظر متعددة، منها ما هو اقتصادي، منها ما هو اجتماعي، منها ما هو فني ومنها ما هو فلسفي من جهة، ومن جهة أخرى فالحداثة ليست حدثاً تاريخياً أو عصراً معيناً أو محدداً بذاته بل نتيجة لتاريخ طويل ومليء بالأحداث التي أسهم كل منها بقسط معين في تشكيلها.

رغم الانتشار الواسع لمصطلح الحداثة (Modernité) إلا أنه يبقى من "نوع تلك المفاهيم التي تتمرد على المفهمة" حتى أكد أحد المفكرين الضليعين في هذا الموضوع يقول: "إن فكرة الحداثة هي فكرة صعبة الفهم في ذاتها"⁽¹⁾ ولتبيان الملامح الأساسية للحداثة نتساءل: ما المقصود بالحداثة في اللغة والاصطلاح الفلسفي؟ ما هي أهم الحوادث التاريخية التي أسهمت في تكوينها؟ ثم ما هي الأسس الفلسفية للحداثة؟ وفيما تتمثل مظاهر الحداثة وآثارها على مختلف مستويات الوجود الإنساني؟

تعريف الحداثة:

أ- لغة: كلمة حداثة في اللغة العربية مشتقة من الجذر حدث وحدث الشيء حدثاً وحداثة، فهو محدث وحديث، وحدث الأمر أي وقع (Modern) حصل، وأحدث الشيء أوجده والمحدث هو الجديد من الأشياء.⁽²⁾

⁽¹⁾ آلان تورين: نقد الحداثة، ت: أنور مغيث، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، دط، 1997م، ص 270.

⁽²⁾ ابن منظور: لسان العرب، إعداد وتصنيف: يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت، دت، مج 3، ص 907.

(Modernus)⁽¹⁾ وتأتي (Modernité) أقدم من (Moderne) أما في اللغة الفرنسية فإن الصفة: حديث والتي تظهر في أواخر القرن الخامس قبل الميلاد. وقد استعملت بهدف التمييز بين الماضي الروماني الوثني والحاضر المسيحي الذي لم يكن قد مضى زمن طويل على الاعتراف به رسمياً⁽²⁾ وقد ازداد استعمال لفظ حديث منذ القرن 10م في الميدانين الفلسفي والديني، ويكاد يستعمل دوماً بمعنى ضمني للدلالة على الانفتاح والحرية الفكرية أو بمعنى عامي للدلالة على الخفة وحب التغيير من أجل التغيير.⁽³⁾

أما لفظ حداثة فلم يأخذ معناه ودلالته إلا في القرن 19م، وقد ارتبط بأعمال "شارل بود لير" (1821م - 1861م) الذي يعتبره أغلب الدارسين أباً للحداثيين لأنه أول من حاول تقديم صياغة نظرية للحداثة.

والحداثة عند "بود لير" هي "المؤقت والعابر، وهي الجمال الموجود في الموضة التي تتغير في كل فصل من الفصول" إذن الحداثة عند "بود لير" تتعلق بالأدب والمسائل الفنية بالدرجة الأولى، ولكن ما المقصود بها من الناحية الفلسفية؟

ب- اصطلاحاً: من الصعوبة بمكان الوصول إلى ضبط مفهوم دقيق للحداثة، إذ ليس هناك اتفاق بين المفكرين حول طبيعة ومكونات الحداثة، لذلك سنحاول تلمس الملامح العامة للحداثة من خلال بعض النماذج.

يعتقد "جون بودريار" أن الحداثة "ليست مفهوماً سوسيوولوجياً أو سياسياً أو تاريخياً بحصر المعنى، وإنما هي صبغة مميزة للحضارة، تعارض صبغة التقليد أي أنها تعارض جميع الثقافات السابقة والتقليدية، فأمام التنوع الجغرافي والرمزي لهذه الثقافات تفرض الحداثة نفسها وكأنها واحدة متجانسة مشعة عالمياً انطلاقاً من الغرب، ويتضمن هذا المفهوم إجمالاً الإشارة إلى تطور تاريخي بأكمله وإلى تبدل في الذهنية".⁽⁴⁾

⁽¹⁾ أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، ت: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت - باريس، ط2، 2001م، مج2، ص 822.

⁽²⁾ يورغين هابرماس: الحداثة مشروع ناقص، ت: بسام بركة، الفكر العربي المعاصر، العدد 29، 1984م، مركز الإنماء القومي، بيروت، ص 42.

⁽³⁾ أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، مرجع سبق ذكره، مج2، ص 822.

⁽⁴⁾ نقلاً عن: محمد برادة: إعتبرات نظرية لتحديد مفهوم الحداثة، ص 12.

سمات الحداثة:

إن هذا المفهوم وإن لم يحدد لنا الحداثة بصورة دقيقة، فإنه يحدد لنا الملامح والسمات العامة لها، فهي:

أ- تتسم بالشمولية، إذ ليس هناك وجه واحد للحداثة⁽¹⁾ وليست هي محصورة في جانب حياتي أو فكري واحد لأن "الحداثة مفهوم حضاري شمولي يطال كافة مستويات الوجود الإنساني".⁽²⁾

ب- الحداثة تقابل التقليد، ذلك ما يؤكد "هابر ماس" بقوله: "إن الحداثة تعبر دائماً عن وعي عصر يحدد نفسه.... ويفهم ذاته كنتيجة انتقال من القديم إلى الحديث" إن الحداثة هي انفصال وقطيعة مع الماضي، "فهي في جوهرها عملية انتقالية تشتمل على التحول من نمط معرفي إلى نمط معرفي آخر، يختلف عنه جذريا وهي انقطاع عن الطرق التقليدية لفهم الواقع وإحلال أنماط فكرية جديدة".⁽³⁾

ج- تمتاز الحداثة من خلال التعريف السابق بأنها مرتبطة بالتاريخ الأوروبي في نشأتها وتطورها، وفي هذا السياق يؤكد "هشام شرابي" ارتباط الحداثة بالمسار التاريخي للمجتمعات الأوروبية، معتبرا إياها: "ظاهرة تتميز بأوروبيتها... وهي محصلة عملية تاريخية بدأت في أوروبا منذ النهضة والإصلاح"⁽⁴⁾ إذ استغرق تشكل الحداثة وعمومها لكافة أنحاء أوروبا أزيد من 3 قرون.⁽⁵⁾ من هنا يتبين لنا أن الحداثة هي النمط الحضاري الذي بلغته المجتمعات الغربية بداية من منتصف القرن 19م، والذي كان نتيجة تطورات عديدة وشاملة لجميع المستويات الفكرية، السياسية، الاقتصادية، الدينية والاجتماعية، ... الخ.

د- تمتاز الحداثة أيضا بكونها تفرض نفسها كوحدة مشعة عالميا، فقد أصبح البعد العالمي إحدى القيم الجوهرية للحداثة، فتكنولوجيا الوسائل السمعية البصرية من بين أشياء

⁽¹⁾ بيروت فيتروك: **حداثة واحدة أم حداثات متعددة؟**، ت: محمد يونس، الثقافة العالمية، عدد 104، يناير/فبراير 2001م، المجلس الوطني للثقافة والآداب والفنون، الكويت، ص 98. أيضا: آلان تورين: نقد الحداثة، ص 272.

⁽²⁾ محمد سبيلا: **الحداثة وما بعد الحداثة**، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000م، ص 07.

⁽³⁾ هشام شرابي: **النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي**، ت: محمد شريح، دار نلسن، السويد، ط4، 2000م، ص 32.

⁽⁴⁾ المرجع نفسه، ص 52 - 53.

⁽⁵⁾ Abdallah Larroui: **Islam et Modernité**, Alger, éd: Bouchene, 1990, P 68.

كثيرة قد فرضت فضاء مخترقا للفضاء الوطني، ولا يمكن لأحد أن يوقفها، ذلك ما يؤكد "ألان تورين" بقوله: "لقد صارت كل المجتمعات مخترقة بالأشكال الحديثة للإنتاج والاستهلاك والاتصال... قارب الحداثة يحملنا جميعا يبقى فقط أن نعرف هل نحن ملاحون أم مسافرون يحملون أمتعة؟" ⁽¹⁾ وبعبارة "أركون" "نحن غطاسون ومنغمسون في المناخ الذي خلقته الحداثة... وبالطبع هناك درجات من الانفماس في الحداثة". ⁽²⁾

هـ- لعل أهم ما يميز الحداثة قدرتها على النقد الذاتي، يقول أحد الباحثين "أهم سمات الحداثة هي ببساطة قدرتها الكامنة على تصحيح نفسها... وقدرتها على النضج الذاتي ومواجهة مشكلات لم تخطر بالبال وفقا لبرنامجها الأصلي" ⁽³⁾ وهي الفكرة التي عبر عنها ناقد الحداثة (ألان تورين) إذ يقول: "إننا لا نبالغ لو قلنا إن العلامة الأكيدة للحداثة هي رسالة العداء للحداثة التي تبثها الحداثة والتي تتسم بالنقد الذاتي والتدمير الذاتي وهي طبقا لقانون "بود لير" جلاد نفسه" نفهم من هذا النص أن الحداثة تمارس عودة نقدية على مسارها ومنجزاتها، لتحدد نقائصها وأخطائها، وتحاول تجاوزها.

إذن، بصفة عامة الحداثة هي التحول من نمط إلى نمط جديد والثورة على كل ما هو تقليدي وغير جديد من مفاهيم وقيم وثقافات مع رفض الإتياع غير الواعي، وينبع هذا التوجه من الذات الفردية أو الجماعية وذلك بعد عجز النمط القديم عن مسايرة التطورات الجديدة.

مجتمع المعلومات جذوره ومعالمه :

في منتصف القرن الثامن عشر ظهرت الصناعة في أوروبا، وحصل بالتالي تحوّل جذري في المجتمعات الإنسانية، فالإقتصاد، مستوى المعيشة، العلاقات الاجتماعية والآليات السياسية، عرفت كلّها تحولات شاملة، وحلّت الرأسمالية الصناعية محل إقتصاد يعتمد بشكل كامل على الإنتاج الفلاحي، كما هجر سكان الريف الأرياف ليشكّلوا الكتل والطبقات العامّة في المدن، ولعلّ مما أفرزته الثورة الصناعية الارتفاع غير مسبوق في الإنتاجية نتيجة للتعلّم الجيّد في موارد الطاقة واستخداماتها المختلفة، ونتيجة لإدخال المناهج المبتكرة في العمل، والانفجار السكاني وأنماط التعمير الحديث.

⁽¹⁾ ألان تورين: نقد الحداثة، مرجع سابق، ص 267 - 268.

⁽²⁾ محمد أركون: الإسلام والحداثة، مرجع سابق، ص 223.

⁽³⁾ بيورن فيتروك: حداثة واحدة أم حدائث عدة؟، مرجع سابق، ص 115.

أ- ظهور مجتمع المعلومات: إن مجتمع المعلومات وليدة عدة تطورات أثارها التكنولوجيا الحديثة للاتصال، حيث أثرت على أنماط المعيشة، ويُلخّص بعض الباحثين إطار مجتمع المعلومات في الملامح الآتية: (1)

(1) المنفعة المعلوماتية: وذلك من خلال إنشاء بنية معلوماتية تقوم على أساس الحواسيب الآلية العامة المتاحة لكل الناس، في صورة شبكات للمعلومات المختلفة، وبنوك المعلومات التي ستصبح بذاتها رمزا للمجتمع.

(2) الصناعة القائدة ستكون صناعة المعلومات التي تهيمن على البناء الصناعي.

(3) سيتحوّل النظام السياسي لتسوده الديمقراطية المشاركة، أي السياسات التي تنهض على أساس الإدارة الذاتية التي يقوم بها المواطنون والمبنيّة على الاتفاق، وضبط النزاعات الإنسانية، والتأليف الخلاق بين العناصر المختلفة.

(4) تشكيل البناء الاجتماعي من مجتمعات محلية متعددة المراكز، ومتكاملة بطريقة طوعية.

(5) ستتغيّر القيم الإنسانية وتحوّل من التركيز على الاستهلاك المادي إلى إشباع إنجاز المتعلّق بتحقيق الأهداف.

(6) ستتمثل أعلى درجة متقدمة من مجتمع المعلومات، في مرحلة تتسم بإبداع المعرفة عن طريق مشاركة جماهيرية فعّالة، والهدف النهائي منها هو التشكيل الكامل لمجتمع المعلومات الكوني.

ويرى باحثون⁽²⁾ أن أهم عنصر من عناصر مجتمع المعلومات هو الاقتصاد الجديد "اقتصاد المعرفة"، ويبرز مجتمع المعلومات هذه الأيام كنتيجة لظاهرة انفجار المعلومات، وانتشار واستخدام تكنولوجيا الاتصال والمعلومات، مما أتاح بناء اقتصاد المعرفة (économie du savoir) الذي يحدث تغيرات بنيوية عميقة في جميع مناحي الحياة.

(1) السيد ياسين مازن عرفة: مجتمع المعلومات العالمي والنموذج الحضاري، عمان، دار الورق 2002، ص 69.

(2) بشار عباس: مجتمع المعلومات العربي - المفاهيم والمرتكزات والتوجهات، مجلة المعلومات الدولية، العدد

ويمكن تلخيص أهم الأسباب التي أدت إلى ظهور مجتمع المعلومات في تطورين متلازمين هما:

ب- معالم مجتمع المعلومات:

التطور الاقتصادي: فقد بدأ الأمر بالاعتماد على المواد الأولية والطاقة الطبيعية مثل: الرياح، الماء، الحيوانات والجهد البشري، وفي المرحلة التالية مرحلة المجتمع الصناعي أصبح الاعتماد على الطاقة المولدة مثل الكهرباء، الغاز والطاقة النووية، أما المجتمع ما بعد الصناعي فإنه يعتمد في تطوره بصفة أساسية على المعلومات والشبكات الاتصالية.

التطور التكنولوجي: فقد ساهمت تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات بشكل واضح في النمو الاقتصادي دافعة لنشأة وتطور مجتمع المعلومات.

لقد أضحى العيش في مجتمع المعلومات يخضع لمتطلبات من شكل خاص، وتمييزه خصائص لها وزنها، نذكر من أهمها:

-التحول من اقتصاد الصناعات إلى اقتصاد المعلومات.

-التحول من الاقتصاد الوطني القومي إلى الاقتصاد العالمي الشامل.

-التحول من إنتاج البضائع والسلع إلى إنتاج المعلومات.

-التحول من استخدام القوة الجسمية إلى القوة العقلية والذهنية.

-ظهور المعلومات كمصدر ومورد أساسي ورئيسي للاقتصاد بعد أن كان عنصرا ثانويا في الاقتصاد الصناعي.

-ظهور شبكات المعلومات والاتصالات البعيدة على المستوى العالمي لتلبية احتياجات الأفراد من المعلومات بسرعة أكثر وتكلفة أقل.

-انتشار تكنولوجيا الاتصالات المتقدمة بشكل مكثف، واستخدامها في المؤسسات العامة والخاصة والمدارس والمنازل لتحقيق أهداف وغايات اجتماعية، وسياسية، وثقافية، وإعلامية، وغيرها.

-ظهور مبدأ المشاركة في اتخاذ القرارات (الديمقراطية المباشرة) نتيجة التدفق الحر للمعلومات والآراء.

-الانتقال من مبدأ المركزية إلى اللامركزية.

- الاعتراف بدور وسائل الاتصال والمعلومات المتطورة كعنصر هام وحيوي في تقوية المبادئ، والقيم الثقافية للمجتمع ودورها في عملية التطور والتنمية.
- اعتبار التعليم عملية استثمار إستراتيجية، وقوة تطويرية هامة في مجتمع المعلومات.
- حيث أن للإنسان في مجتمع المعلومات دورا هاما وحيويا، فلا بد أن تكون له خصائص تميّزه وتجعله متوافقا في حياته مع المجتمع الذي يعيش فيه، فقد لخص البعض خصائص فرد مجتمع المعلومات كما يلي: ⁽¹⁾
- متفرد غير نمطي (ليس صورة مطابقة للآخرين).
- يمارس التفكير الناقد.
- قادر على التعلّم المستمر والذاتي والشامل.
- إنسان المستقبل، مبدع ومبتكر.
- إيجابي ومتعاون وقادر على المبادرة والتفكير الخلاق واتخاذ القرارات.

دور تكنولوجيا الاتصال والمعلومات في المجتمع الحديث:

إن تكنولوجيا الاتصال الحديثة تتمتع بخصائص إيجابية كثيرة، ولو أمكن الاستفادة منها فإن الدول النامية تستطيع أن تضيّق من الفجوة العلمية، والتقنية والاقتصادية بينها وبين الدول المتقدمة، فهذه التكنولوجيا الحديثة لها دور كبير يزيد من إنتاجية الفرد والمجتمع. وتجدر الإشارة هنا إلى أنه عندما كان يجري الحديث في الدراسات السوسيولوجية عن المجتمع الاستهلاكي، ومجتمع وسائل الإعلام، فإن هذا كان يحدث تحت التأثير المتزايد للتلّفاز في حياتنا كأحد أهم أدوات الوسائل الإعلامية تأثيرا، وكأداة حاسمة في نشر وترويج مفاهيم الحياة الاستهلاكية، وعندما أصبحنا حاليا تبرز مفهوم "مجتمع وسائل الإعلام العالمي" فقد ارتبط هذا بالدرجة الأولى بانتشار وسيطرة العولمة بأشكالها المختلفة من سياسية، اقتصادية، ثقافية واتصالية، على دول العالم كلّها، وتضعنا العولمة الثقافية في أحد تأثيراتها علينا كأفراد سلبيين تحت سيل من التدفق اليومي للمعلومات والصور المركّزة والموجّهة من قبل مراكز الاحتكارات، والسيطرة العالمية مستخدمة بذلك أحدث تكنولوجيا الاتصال، وعلى رأسها حاليا المحطّات الفضائية، ومع أن "توفلر" قدّم رؤيته أبكر بكثير من فترة ظهور مفاهيم العولمة، وانتشارها إلا أنه كان يرى أن وسائل الإعلام الجماهيرية في

⁽¹⁾ ربحي مصطفى عليان، مرجع سبق ذكره، ص 72.

المرحلة الثانية، أي في الفترة الصناعية، هي سلبية لأنها تبث المعلومات والصور متدفقة باتجاه واحد فقط، في حين يرى أن هذه الوسائل ستصبح مع المرحلة الثالثة متفاعلة مع الأفراد، وذلك باستخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات التفاعلية لتلبية المتطلبات الاجتماعية والاقتصادية المتزايدة، والمعقدة للأفراد والجماعات في المجتمعات الجديدة.⁽¹⁾

هذا التركيز الشديد على دور تكنولوجيا الاتصالات في مجتمع المعلومات أخذ يصبح حاسماً لدى كثير من الباحثين من بينهم علماء اجتماع ومفكرون وخبراء معلومات واتصالات، وذلك بالارتباط مع النتائج الحاسمة لتطور عالم الاتصالات في نشر المعلومات بأشكالها المختلفة في أي بقعة من العالم.

هذا الارتباط التاريخي الحاسم بين عالم الاتصالات وعالم المعلومات هو الذي جعلنا في النهاية نتحدث عن مجتمع المعلومات.

وهنا تأكد مصطلح "القرية العالمية" الذي يعبر عن توحيد العالم في إطار تواصل واحد، وتعبيراً عن تعارف أجزائه لبعضها البعض، بشكل جيد بفضل شبكات الاتصال التي تغطيه، كما لو كنا نعيش في قرية صغيرة يعرف المجتمع بعضهم بعضاً وتنتشر الأفكار والأخبار والآراء فيها بسرعة.⁽²⁾

كما تنبأ صاحب هذا المصطلح عالم الاجتماع "مارشال ماكلوهان" في "وسائل الاتصال ووسائل الإعلام الجماهيرية" (Mass Média)، التي تتسع عنده لتضم جميع أشكال الاتصال بين البشر، بما فيها مثلاً: التلفاز، الصحف، الحاسوب، النقود، المواصلات، ولكنه يركز في هذه القرية العالمية على التكنولوجيا الجديدة للمعلومات والاتصالات لإمكانيتها الحاسمة والشاملة على المستوى العالمي، كما يرى فيها امتداد تكنولوجيا لأعضاء الحسّ البشري في إدراك المحيط الإنساني والطبيعي، وبالتالي تلعب هذه الوسائل عنده الدور الحاسم في تطوير وعي الفرد، وإدراكه ومعرفته بنفسه وبالعالم المحيط به، وتدفق المعلومات التي توصلها له، وتترك بالتالي التأثير الكبير عليه سواء على نفسيته، أو على بنية المجتمع الذي يعيش فيه.

دور وسائل الاتصال الحديثة في الحداثة:

ساهمت التكنولوجيات الحديثة للاتصال مساهمة لا يستهان بها في عملية تحديث المجتمع، وتحقيق الحضرة والذي يتجلى على سبيل المثال لا الحصر في الدور الذي لعبته،

(1) ربحي مصطفى عليان، نظرية الاتصال، دار المعارف، القاهرة، 2005م، ص 39.

(2) ربحي مصطفى عليان، مرجع سبق ذكره، ص 39.

وتلعبه الإنترنت في انتشار المعرفة، وتنمية القواعد، والقوانين الجديدة التي تتوافق مع التحضر، كما تقوم التكنولوجيات الحديثة للاتصال بدور رئيسي في دفع عجلة التنمية والتبشير بالتحول، والتغيير ومعاونة التعليم في خلق الحوافز والتدريب على اكتساب المهارات.

أ- دور وسائل الاتصال الحديثة في الحداثة المعلوماتية: تميزت التحولات الدولية الأخيرة بزيادة عمليات الاتصال المتعددة الوجه والمجالات بشكل تلاشت فيه الحدود، بحيث أصبح العالم عبارة عن قرية صغيرة، فوسائل الاتصال ساعدت في انكماش الكرة الأرضية وتقلصها في الزمان والمكان حتى أصبحت توصف القرية الكونية، بل وأصبحت أقرب ما يكون إلى بناية ضخمة تضم عشرات الشقق السكنية التي يقيم فيها أناس كثيرون حيث أصبح بالإمكان الحصول على المعلومات التي يريدونها في الوقت الذي يريدونه والكيفية التي تساعدهم في المكان الذي هم جالسون فيه وبسهولة تامة وبأقل التكاليف⁽¹⁾، حيث أتاحت تقنيات الاتصال الحديثة (من أقمار صناعية وحاسبات إلكترونية وألياف بصرية وغيرها) عددا كبيرا من خدمات الاتصال مثل التلفزيون الكابلي التفاعلي وأجهزة التسجيل المتطورة والاتصال المباشر بقواعد البيانات والهواتف النقالة والبريد الإلكتروني، التي اندمجت في شبكة الاتصالات المعروفة وجميعها تسعى لخدمة الإنسان وتلبية احتياجاته ورغباته - حسب نظرية الاستخدامات والإشباع التي ترى أن الجمهور لديه القدرة على اختيار المضامين والوسائل الإعلامية التي يتوجهون إليها ليشبعوا رغباتهم ومتطلباتهم من المعارف والمعلومات المختلفة، وباعتبار أن وسائل الاتصال هي امتداد لحواس الإنسان - حسب "مارشال ماكلوهان" - فالكاميرا هي امتداد لعينه والإنترنت هي امتداد لفكره أصبح الفرد يطلع على المعلومات والأخبار التي تحدث في كل أنحاء العالم وهو جالس في بيته مستلقي على أريكته يشاهد ما يحدث من مظاهرات في مصر، تونس، سوريا.. كما يمكنه الحصول على الخبر فور حدوثه كماغتيال "معمّر القذافي"، يمكنه أيضا التعرف على مختلف جهات النظر والآراء حول المواضيع المختلفة في الاقتصاد أو السياسة أو الثقافة وغيرها ويتلقى مختلف الأخبار والأحداث وكأنه موجود في عين المكان مثال: مشاهدة مهرجان القاهرة في التلفزيون وكأنك حاضر في القاهرة فعلا.

(1) محمد مقدادي: العولمة... رقاب كثيرة وسيف واحد، ط2، الأردن، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،

كما يتيح التطور التكنولوجي الجديد للوسائل الاتصالية مشاهدة البرامج والمضامين باللغة التي يرغبها حسب خاصية الدبلجة فيمكن مشاهدة مقابلة كرة القدم بتعليق ألماني وآخر إسباني.

كما أن تدفق المعلومات يكون بدون حدود فلا يختلف شخص جالس في المدينة في استقاء للمعلومات عن شخص في قرية فكل منهما مهما كان موقعه الجغرافي تكون المعلومات متاحة لديه في شتى حقول المعرفة والعلم، كما تتيح وسائل الاتصال الحديثة خاصة الإنترنت كل واحد منا ان يفتح موقعا له يبيث أفكاره وخواطره، كما يمكن أن يشاركها مع الآخرين في مختلف أقطار العالم خصوصا من خلال مواقع الشبكات الاجتماعية كالفيسبوك وتويتر فضلا عن الخدمات الكثيرة التي تقدمها الشبكة لمستخدميها كالبريد الإلكتروني والاتصالات الهاتفية والتسوق في المتاجر والأسواق والمعارض والمتاحف والإطلاع على البحوث والدراسات، تستخدم أيضا وسائل الإعلام للعمل بالإعلان والتسويق والاستثمار لمختلف البضائع والسلع فهناك قنوات خاصة لعرض سلع ومنتجات وبيعها على كل أطراف العالم.⁽¹⁾

والآن نحن في عصر التكنولوجيا فأى شيء أصبح يسير عن طريق الكمبيوتر والإنترنت خاصة، حيث يتم تحميل البرامج وتحديثها بأقل تكلفة إضافة إلى الخدمات الواسعة في شتى المجالات العلمية، الأدبية، الفنية، والإلكترونية فضلا عن اعتبارها طريقة اتصال سريعة ومباشرة عن طريق برامج محادثات، حتى الزواج يتم عن طريقها كما أصبحت تدير أعمالها عن طريقها وربط كافة المؤسسات الحكومية والوزارات والقطاعات العامة بأجهزة الكمبيوتر.

وهكذا تستنتج أن التطور التكنولوجي لوسائل الاتصال أحدث تغييرات كبيرة حيث أصبحت المعلومات بعد أن كانت محتكرة في جهة معينة وصعبة التنقل والانتشار أصبحت متاحة لكل الأطراف وبكل الأشكال وفي أي وقت من الأوقات وفي أي مجال، وهذا ما أصبح يُعرف بثورة الاتصالات التي تكون فيها المعلومات متاحة للأفراد بصفة عالمية للجميع بدون قيود أو حدود.

ب- دور وسائل الاتصال الحديثة في الحدائة السياسية والاقتصادية: إن التطور التكنولوجي لوسائل الاتصال أدى إلى تحويل العالم إلى نموذج شامل يتكون من مجموعة أقسام وفروع تتفاعل مع بعضها البعض والقسم السياسي هو القسم الأكثر توترا بمختلف التغيرات التي يُحدثها هذا

⁽¹⁾ مصطفى النشار: ما بعد العولمة، قراءة في مستقبل التفاعل الحضاري وموقعنا منه، ط1، القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 2003م، ص 45.

التفاعل، فلقد هيمنت تكنولوجيا الإعلام والاتصال على المؤسسات التشريعية والتنفيذية والقضائية في الدول، حيث أصبح النظام السياسي يعتمد اعتماداً كلياً على وسائل الاتصال الحديثة وما تتيحه من امتداد جغرافي، وتنوع معرفي، واتصال سريع من ربط كافة المؤسسات الحكومية ببعضها البعض بأجهزة كمبيوتر وشبكات تواصل تسهل عملية نقل المعلومات بين الأجهزة في الدولة ما يوفر الكثير من الوقت والجهد، كما يتم ربط الوزارات والقطاعات المختلفة ببعضها البعض بشبكات تسرع عملية إعطاء الأوامر وتنفيذها في أوقات قياسية وبطريقة منتظمة، حيث ظهر ما يطلق عليه ب: الحكومة الإلكترونية، الأمن الإلكتروني، والسياسة الإلكترونية وكلها مفاهيم تصب في بوتقة الاعتماد على تكنولوجيا الاتصال الحديثة وخصائص الإعلام الآلي في مختلف شؤون إدارة العلاقة بين الحاكم والمحكوم وتنظم مختلف جوانب الحياة السياسية فيها وهي من الخطورة بمكان، حيث أصبحت الدول تعتمد على هذه التقنيات المتطورة جداً لخدمة مصالحها الداخلية والخارجية والمحافظة على استقرارها واستخدامها في مجالات سرية تمس بأمن الدولة، والقرصنة وكما نعلم أن الإنترنت بدأت كأول استخدام لها في المجال العسكري للمحافظة على الاتصالات في الحروب والحصول على المعلومات السرية وغير ذلك مما أسهم ظهور ما يُعرف بالحروب الإلكترونية وحروب المعلومات فالولايات المتحدة الأمريكية تسعى إلى الهيمنة على القسم الأكبر من مجموع الاتصالات العالمية ما دامت ثورة الاتصالات تحدث تغييرات في البيئة الدولية وعلى هيمنة من نوع جديد، فرغم التعاون الدولي الذي أصبح سمة من سمات هذا العصر فإن الاختلال في التدفق الإعلامي لا يزال قائماً بين الشمال والجنوب من جهة والشمال من جهة أخرى (و/م/أ - أوروبا)، حيث شهد العام 2012 نمواً كبيراً لشبكة الإنترنت وإقبالاً كبيراً أيضاً في من قبل الناس تجاه الواب وشبكات التواصل الاجتماعية التي ساهمت في أحداث تغييرات كبيرة وعملقة في حياة الأفراد والمجتمعات، إنها حقاً ثورة معلوماتية لم تشهد البشرية لها نظير، ولا زالت تتسع وتزداد ولا زالت تبهرنا كل يوم بسرعة صعودها وسرعة نموها، سنقف عند أبرز أرقام وإحصائيات العام الماضي لدراسة نشرتها Barracuda Networks كي نعلم أين وصل الانترنت وأين وصلنا نحن معه.

555 مليون موقع إلكتروني موجود على فضاء الانترنت، وحوالي 300 مليون موقع جديد تم إضافته خلال سنة 2011 فقط، وهو أكثر من عدد المواقع التي أنشئت منذ بداية الانترنت حتى عام 2010، إنه فعلاً رقم كبير جداً ويشير إلى أن العالم يتجه بشكل كبير إلى شبكة الويب لبناء مجتمعات افتراضية متعددة، طبيعياً هذا الرقم شامل لجميع المواقع سواء الفعالة أو تلك التي لازالت مجرد اسم نطاق (دومين) ولم تنطلق بعد، أما عدد المواقع الفعلية التي تحتوي على محتوى معرفي أو خدمة مفيدة فهو 175 مليون موقع.

3.146 مليار حساب بريد إلكتروني، طبعاً في الغالب خدمة البريد الإلكتروني مجانية ولذلك يمكن إنشاء العديد من الحسابات بدون تكاليف تحسب على المستخدم، وهذا يبرر هذا الرقم الكبير، كل مستخدم رسل ويستقبل 250 مليون بريد إلكتروني في المتوسط.

360 مليون مستخدم هو عدد مشترك في خدمة البريد المجانية (Hotmail) وهي أكبر خدمة بريد إلكتروني من حيث عدد المشتركين، وقد يتساءل البعض عن السبب رغم وجود مواقع وخدمات أفضل وأكثر تميزاً مثل الجيميل من شركة غوغل، وفي اعتقادي أن السبب الرئيسي في هذا هو اتصال هذه الخدمة ببرنامج (لايف ماسنجر) الرنامج الأكثر شهرة للتواصل والدردشة، أما السبب الآخر فلأن موقع الهوتميل من المواقع القديمة والتي بدأت بتوفير خدمات البريد الإلكتروني المجاني مبكراً.

2.1 مليار مستخدم انترنت حول العالم، هو رقم كبير في ما إذا قارناه بعدد سكان العالم الذي يزيد عن 7 ملايين بقليل، هذا يعني أن أكثر من ربع سكان العالم يستخدمون الانترنت.

ج- دور وسائل الاتصال الحديثة في الحدثة الثقافية والفكرية: بعد انهيار نظام القطبية الثنائية ظهرت مصطلحات مثل العولمة والكونية أي تحويل العالم إلى شكل موحد يلغي الحدود الفكرية والثقافية بين الدول والأمم حيث أصبحت الثقافة والقيم متاحة لكل البشر البالغ عددهم تقريباً 6 مليار نسمة.

ازداد الإعلام من خلال الأقمار الصناعية وبالتالي ساعد على تبادل الأخبار والبرامج مما يثري المستوى العام الثقافي والفكري للبشر وذلك بزيادة المعلومات المتوفرة بطريقة لم تحدث من قبل حيث يتميز هذا العصر بالانفجار المعرفي مما يزيد من ارتباط أجزاء العالم ببعضها، فالتطور التكنولوجي لوسائل الاتصال لاسيما في دول الشمال أوجد ما يسمى بعالمية الثقافة التي أزالت الحواجز بين الشعوب وأثبتت عدم فاعلية وسائل المنع أو مقص الرقيب - نظرية حارس البوابة: وهي السيطرة على مكان إستراتيجي في سلسلة الاتصال بحيث يتم اتخاذ القرار فيما سيمر وكيف سيمر حتى يصل في النهاية إلى الجمهور المستهدف، حيث يتم تغييرها حسب القيم والمبادئ وثقافة المجتمع التي تتواجد به الوسيلة الإعلامية - إذن عالمية الثقافة تزيد من انتشار المعلومات التي تكون متجانسة وموحدة بين كل الدول، ويُعلل هذا بنظرية الحرية في الإعلام حيث يكون للإنسان الحق في الحصول على المعلومات.

وتوصل هذا إلى درجة قيام أمريكا مشروع الطرق السيارة للاتصال عبر الإنترنت الذي كان قد تكفل به "آل غور" نائب الرئيس الأمريكي السابق "بيل كلينتون" ولتأكيد أهمية هذا المشروع يقول "آل غور": "إن شبكة الاتصالات العالمية بحكم كونها شبكات الاتصال

ستغير إلى الأبد طرق عيش سكان الكوكب وطرق تعلمهم وعملهم وتواصلهم... "وتسعى الولايات المتحدة الأمريكية لخلق ثقافة عالمية مرتبطة بوسيط اللغة الأمريكية حيث يقول "روزفلت": "قدرنا هو أمركة العالم" والتي أكدها "ريتشارد نيكسون" بقوله: "نستطيع أن نقود العالم إلى مكان أفضل... نحن لسنا ركاب في قطار التاريخ... نحن قادته ولدينا الفرصة لنشكل قرنا أمريكيا ثانيا" حين يذهب "بوش" إلى القول: "إن القرن القادم ينبغي أن يكون أمريكيا"⁽¹⁾ فالحدود التي هي إطار ووعاء الدولة وسيادتها يزداد عجز الدول على السيطرة فيما يمر من خلالها يوما بعد يوم خاصة وأن أهم خصائص الوسائل الإعلامية هي تجاوز كل الحدود الثقافية والفكرية والجغرافية والزمنية، فظهرت ما يُعرف بالمجتمع الجماهيري الذي يشير إلى الجماهير المتعددة والمتباعدة فرغم تعدد واختلاف الثقافات واللغات والعادات أدى البث بالأقمار الصناعية إلى تجانسه وإزالة مختلف الفوارق والاختلافات بين أفرادها وكون ما يُعرف بالثقافة الجماهيرية التي هي لون من الثقافة المرتبطة بوسائل الإعلام والتي تركز على إمداد الجماهير بأنماط معينة من الأفكار والقيم والمعلومات تؤدي إلى التقريب الفكري والحضاري بين أفراد هذا المجتمع المتباعد الأطراف.⁽²⁾

كل هذا أدى إلى ظهور مجموعة من المبادئ والقيم والأفكار الجماهيرية التي تكون مشتركة بين أعداد كبيرة من الأفراد وعادة ما بث هذه القيم والأفكار بصيغة أمريكية حيث تسعى إلى عوالة الثقافة والأفكار، فأمریکا تقوم بحركة كبيرة تسعى من خلالها إلى تحقيق الهيمنة الثقافية الأمريكية وأنماط الفكر الاستهلاكي، فمجموعة القيم والمفاهيم والرؤى والعناصر المتشابهة والمتكاملة القائمة على قيم ومعتقدات تحكي قصة وجود الأفراد ضمن تاريخ الشعوب والمجتمعات والثقافة ترتبط بالحيز الجغرافي لأهميته كأحد العناصر الأساسية في تحديد الهوية والانتماء إلى أرض وطن وحدود وموقع طبيعي في خارطة الكون.⁽³⁾

إلا أن ما ميز التطور التكنولوجي في هذا العصر هو عدم حصر الثقافة في زمن معين دون غيره، وأكثر ما يلفت الانتباه من مظاهر العوالة المدى الذي بلغته الثقافة الشعبية العربية وخاصة الأمريكية على أذواق الناس في العالم، فالموسيقى الأمريكية والبرامج التلفزيونية والسينما أصبحت منتشرة في مختلف أنحاء العالم، كما ان النمط الأمريكي في اللباس

(1) المنجي الزيدي: ثقافة الشباب في مجتمع الإعلام، عالم الفكر، مجلد 35، السنة 2006م، ص 208.

(2) المرجع نفسه، ص 210.

(3) ميشيل مافيزولي: تأمل العالم، الصورة والأسلوب في الحياة الاجتماعية، ترجمة فريد الزاهي، الرباط،

منشورات المعهد الجامعي، سلسلة ترجمات، 2005م، ص 6-7.

والأطعمة السريعة وغيرها من السلع الاستهلاكية كقصص الشعر، أسلوب الحياة - الخروج إلى العمل.. الرفاهية.. السيارات الشخصية - ووضع الخواتم والحلق وغيرها انتشر على نطاق عالمي واسع بالأخص بين الشباب إضافة إلى ذلك أخذته اللغة الأمريكية تصير لغة عالمية، هذا من جانب ومن جانب آخر أصبحت الأفكار التي تدور في عقول الشباب أقرب إلى الأمريكية..... إلى العربية والإسلامية تجد أن طموحه هو الوصول إلى ما حققته مثلاً "مايكل جاكسون" أو ممثل مشهور أو كذا فيلهت وراء مسابقات غنائية وحصص رقص كستار أكاديمي، ألحان وشباب.... التي هي في جوهرها صورة طبق الأصل لبرامج أمريكية لا تمت للثقافة العربية الإسلامية بأي صلة في حين تغيب من الجانب الآخر كل مظاهر الأصالة في المجتمع من لباس تقليدي، زيارات عالية واجتماع الأسرة على المائدة في كل وجبة، تبادل الزيارات التي تظهر التكافل والتضامن الاجتماعي والترابط بين أفراد المجتمع فقد أصبحت الرسائل القصيرة تحل محل الأشخاص وآخر صيحات الموضة من ألوان شعر وألبسة وأصبح التشتت والتفكك يغلب العلاقات الأسرية.

خاتمة:

إن دواعي وأسباب اهتمام التكنولوجيات الحديثة للاتصال الحديثة بعملية الشرح، والتفسير يرجع إلى اعتبارات موضوعية كون أن الفرد في المجتمع الحديث لا يملك من الوقت، أو الجهد، أو المال، أو العلم ما يمكنه من الوصول إلى مدلولات دقيقة لجميع المعارف وفي كثير من الأحيان يكون المحصول اللغوي للقارئ والمستمع، أو المشاهد فلا يفهم ما يقال له ومن هنا جاءت أهمية الشرح والتفسير، والتبسيط والتجسيد.

لقد غيرت التطورات التكنولوجية لوسائل الإعلام في المجتمع الكثير ولقد مست لأساس العلاقات الاجتماعية حيث أصبح كل فرد يعيش في عزلة عن العالم الذي ينتمي إليه، حيث أصبح يتواصل مع الآلة أكثر أو الوسيلة أكثر من تواصله مع أفراد مجتمعه فبعض الأفراد يقضي الساعات أمام جهاز الكمبيوتر أو الهاتف النقال بدل التفاعل مع أفراد الآخرين، كذلك ظهرت مجموعة من المفاهيم كالتعليم عن بعد حيث يكون الأستاذ والطلبة في أماكن متفرقة ومتباعدة جداً يمكنهم أخذ دروس بصفة منتظمة، كما يوجد أيضاً الزواج والطلاق عن بعد، العمل عن بعد، وتوصل هذا التطور إلى درجة إقامة الولايات المتحدة الأمريكية مشروع الطرق السيارة للاتصال عبر الإنترنت حيث قال "آل غور" عن هذا المشروع: "إن شبكة الاتصالات العالمية بحكم كونها شبكات اتصال ستغير إلى الأبد طريقة عيش سكان الكوكب... هذه الشبكة العالمية ستتمكن أطباء قارة معينة من فحص مرضى

القارات الأخرى وستمكن مختلف أعضاء العائلات من البقاء على اتصال دائم من قطب الكرة الشمالي إلى قطبها الجنوبي"⁽¹⁾ وقد حرص المسؤولون الأمريكيون على تطبيق هذا البرنامج منذ 1993م مستتدين إلى الإنترنت باعتبارها أهم وسيلة اتصال بين ملايين البشر ومختبر لكميات هائلة من المعلومات وإلى شبكات اتصالية تفاعلية ذات نطاق واسع وإلى تلفزة رقمية تتحول من بث برامج إلى خازنة لها يمكن الرجوع إليها في أي لحظة.⁽²⁾

إذن نلاحظ أن وسائل الاتصال غيرت في طريقة حياة الأفراد والجماعات ومكنتهم من التواصل ببعضهم البعض بسهولة كاملة وتامة بغض النظر عن تواجدهم، وأضافت مجموعة من المفاهيم التي لم تكن موجودة من قبل مثل الصداقة الإلكترونية، التعليم الإلكتروني... مشكلة الإعلانات التي تعرض رسومات وأشكالاً تشتت الطلبة وتدفعهم إلى مواقع ليس لها علاقة بموضوع البحث⁽³⁾.

قائمة المراجع والمصادر:

- 1- ألان تورين: نقد الحدثة، ت: أنور مغيث، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، د. ط، 1997م.
- 2- ابن منظور: لسان العرب، إعداد وتصنيف، يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت، د. ت، مج 3.
- 3- أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، ت: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت - باريس، ط 2، 2001م، مج.
- 4- يورغين هابرماس: الحدثة مشروع ناقص، ت: بسام بركة، الفكر العربي المعاصر، العدد 29، 1984م، مركز الإنماء القومي، بيروت.
- 5- بيروت فيتروك: حدثة واحدة أم حدثات متعددة؟، ت: محمد يونس، الثقافة العالمية، عدد 104، يناير/فبراير 2001م، المجلس الوطني للثقافة والآداب والفنون، الكويت.
- 6- محمد سبيلا: الحدثة وما بعد الحدثة، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 2000م.
- 7- هشام شرابي: النظام الأبوي وأشكالية تخلف المجتمع العربي، ت: محمد شريح، دار نلسن، السويد، ط 4، 2000م.

⁽¹⁾ ثورة الاتصالات والمعلومات والاقتصاد العالمي وتأثيرها في الدولة والمجتمع بالعالم العربي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، 1998م.

⁽²⁾ العرب والعولمة... بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، ط 2، 1998م.

⁽³⁾ د. أكرم فتحي مصطفى، إنتاج مواقع الإنترنت التعليمية، مرجع سبق ذكره، ص 73 - 74.

- 8- م. روزنتال - ب يودين: الموسوعة الفلسفية، ت: سمير كرم، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط5، 1985م.
- 9- أحمد محمود صبحي - صفاء عبد السلام جعفر: **في فلسفة الحضارة**، دار النهضة العربية، بيروت، ط3، 1999م.
- 10- توبي. أ. هف: **فجر العلم الحديث**، ت: محمد عصفور، سلسلة عالم المعرفة، 260، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط2، 2000م.
- 11- مايكل هارت: **الخالدون في العالم مئة أعظمهم محمد (ص)**، ت: أنيس منصور، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط7، 1986م.
- 12- مطاع الصفدي: **نقد العقل الغربي، الحداثة وما بعد الحداثة**، مركز الإنماء القومي، بيروت، ط1، 1990م.
- 13- محمد الشيخ - ياسر الطائري: **مقاربات في الحداثة وما بعد الحداثة**، ندار الطليعة، بيروت، ط1، 1996م.
- 14- محمد مقداي: **العولة... رقاب كثيرة وسيف واحد**، ط2، الأردن، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2002م.
- 15- مصطفى النشار: **ما بعد العولة**، قراءة في مستقبل التفاعل الحضاري وموقعنا منه، ط1، القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 2003م.
- 16- غازي الصوراني، **العولة وطبيعة الأزمات في الوطن العربي وآفاق المستقبل العربي**، العدد 293، سنة 2003م.
- 17- ميشيل مافيزولي: **تأمل العالم، الصورة والأسلوب في الحياة الاجتماعية**، ترجمة فريد الزاهي، الرباط، منشورات المعهد الجامعي، سلسلة ترجمات، 2005م.
- 18- ثورة الإتصالات والمعلومات والاقتصاد العالمي وتأثيرها في الدولة والمجتمع بالعالم العربي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، 1998م.
- 19- العرب والعولة... بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، 1998م.
- 20- فراح مسرحي: **الحداثة في فكر محمد أركون مقارنة أولية**، ط1، بيروت، لبنان، الدار العربية للعلوم، ناشرون، 2006م.
- 21- عبد الرزاق محمد الدليمي: **الإعلام والعولة**، ط1، 2004م، دار الرائد العلمية للنشر، عمان، الأردن، 2004م.

22- محمد لعقاب: مجتمع المعلومات ماهيته وخصائصه، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، بوزريعة.